**المحاضرة السابعة:**

**أهم النماذج النسقية :**

تأثرت النسقية بالنسقيون الذين ينتمون إلى الجهة الشرقية من أوروبا والذين كانت لهم ميول تحليلية ( التحليل النفسي ) ومن بينهم نجد : Bowen وBozormoni Nagy و Ackerman وNathan

ومجموعة palo-Alto, الذين ينتمون إلى الجهة الغربية والذين كانت تسيطر عليهم النظرة البراغماتية للاتصال الإنساني داخل النسق الأسري ( آثار الاتصال على السلوك ) ومن روادها نجد : Bertalanfey ,watzlawickو Jackson وweakland وVon Forester وبالتالي عند الإشارة إلى هذين التيارين تيار الجهة الشرقية وتيار الجهة الغربية يقودنا الحديث عن نموذجين رئيسيين هما : النموذج المتزامن (synchronique) والنموذج التطوري او التعاقبي (diachronique)

1. النموذج المتزامن في المقاربة النسقية :

هذا النموذج يضم مختلف وجهات النظر النسقية والتي تضع العرض في بعده العرضي ، بمعنى آخر في وقته الحاضر أي أن قيمته تفهم هنا والآن ، أي لا وجود لعلاقة تاريخية بين الفرد أو بالعائلة ، بالنسبة للمقاربة النسقية المتزامنة فالأسرة هي نسق يتشكل من مجموعة من الأفراد في حالة تفاعل بحيث أن الاتصال هو الضابط في هذا النسق والهدف العلاجي من هذا التدخل النفسي هو تغيير الإطار التفاعلي العلائقي و الاتصالي داخل الأسرة التي تطور فيها العرض ، أما التدخلات العلاجية فهي تختلف بحسب الهدف المراد الوصول إليه ، ومن هذا النموذج التركيبي تنشق عدة نماذج فرعية يمكن تلخيصها فيما يلي:

**-النموذج الإتصالي النسقي :( العلاج التفاعلي المختصر ) (السيبرنيتيكي النسقي)** ومن روادها

Jackson وBateson و Hally وweakland بالإضافة إلى watzlawik و Fish ,حيث ركزت دراساتهم في هذه النظرية على السيرورات الاتصالية والتغيرات التي تحدث في عائلات المدمنين والفصاميين حيث لاحظ Bateson وزملائه ان هذه الاسر لها الميل الى عدم التغير لان مهما كانت الصعوبات التي تواجهها فهي تضع اليات للمقاومة وعدم التغيير وبالتالي الحفاظ على التوازن ، كما اضافت مجموعة Palo Alto ان الاسر التي يظهر احد افرادها اضطرابا تظهر الاضطرابات على مستوى الانماط التواصلية الحالية (كالرابطة المزدوجة او القيد المزدوج ) فهذا النوع من الاتصال الغير وظيفي عند افراد الاسرة إذ يحمل رسالتين متناقضتين في نفس الوقت ، فمجموعةPalo Alto أشارت إلى أن الطفل هنا عندما يجد نفسه أمام أمرين متناقضين فهو يجد نفسه أمام وضعية لا يفهما فمهما كانت ردة فعله فسيعاقب وبالتالي فإن ''أسلوس'' يقول في هذا الصدد انه في هذه الحالات فإن الطفل يتفاعل عن طريق المرور إلى الفعل .  
 كما أنّ هذه المقاربة تعتبر أن الفرد الذي يطور العرض يفهم من قبل  المعالج على أنه سلوك تكيفي لهذا الإطار الإتصالي . حيث أنه لا يحمل إلا المشكلة التي تعاني منها أسرة وهو يعتبر الأكثر تأثرا لحالة عدم الاتزان الأسري.   
**- النموذج البنيوي أو البنائي :**   
تنتمي هذه المقاربة النسقية الى ( Silvador Minuchin) ويفسر العرض حسبه أنه عبارة عن إشارة أو نتيجة لسوء التنظيم والتوظيف للبنية الأسرية والذي يدل على التفاعلات الوظيفية الغير سليمة ، ويعتبر Minuchin ملتزم بوجهة نظر الانساق العامة حيث يظهر اهتمامه واضحا بمفاهيم مثل التوازن الحيوي والتغذية المرتدة والحدود والأنساق الفرعية وصفات النسق المفتوح والنسق المغلق ، وتتسم نظريته "بالكلية " حيث ينظر إلى اساليب السلوك الخاصة بالفرد كمؤشرات على بناء الاسرة الكلي وينظر الى مشكلات الأسرة على أنها ناتجة من البناء الأسري ولا تحل إلا بإعادة ترتيب بناء الأسرة .  
فالتغيرات في نظام النسق الأسري وتحويل البنية الأسرية يسمح بتغيير وضعيات أفرادها ، وعليه فإن تجارب كل فرد داخل هذه البنية تتغير ، الأمر الذي يدفع بهذا الفرد إلى الشعور بالتغيير الذاتي .  
استندت نظرية Minuchin على عدة نقاط والتي اعتبرت من أهم المبادئ النظرية للنموذج البنائي والتي يمكن تلخيصها في النقاط التالية :   
•أهمية السياق : (le contexte)  بحيث يشير Minuchin أن الفرد الذي يعيش داخل أسرة هو عضو من نسق اجتماعي والذي يجب أن يتكيف معه، تصرفاته هي خاضعة من خصائص النسق ، وتشمل هذه المميزات والخصائص آثار أفعاله الماضية والخاصة به .   
•تأثير الشخصية من التغيرات الاجتماعية : فحسبه التغيرات داخل النسق الأسري تساهم في التغيرات في السلوك والعمليات النفسية الداخلية لأفراد هذا النسق ، وبالتالي التغيير في السياق قد يؤدي إلى تغييرات في الفرد .   
• المراقبة بالمشاركة النشطة : عندما يعمل المعالج مع العميل أو مع أسرة العميل يصبح سلوكه الخاص به جزء من السياق ، هذا ما يؤدي إلى خلق نسق أو نظام جديد يدعى بالنظام العلاجي ، الذي يحكم قوانين جميع الانظمة ، معناه يحكم سلوك أعضائه . وحسب Minuchin حتى يتمكن من تفسير النظام الأسري فهو يركز على مجموعة من المفاهيم الأساسية : بناء الأسرة /أنظمة الأسرة الفرعية / الحدود الفاصلة / الإنحيازات والإئتلافات والتحالفات .

**المحاضرة الثامنة (تابع للمحاضرة السابعة)**

**2- النموذج التعاقبي : Model diachronique ( النموذج المتتالي )**

ومن هذا النموذج الرئيسي ينشق النموذج النسقي الفرعي التالي :

**- نظرية موراي بوين :** وتختصر الفكرة الاساسية لهذه النظرية العلاجية في ان ما هو ظاهر وفعال ما يلاحظ من اعراض وعدم فاعلية اتصالية له اصل وتعليل فيما سبق من اجيال في النسق العائلي، فمن جيل الى جيل ينتقل الموروث النسقي بما هو ايجابي وما هو سلبي.

وحسب هذه النظرية فإن ممارسة العلاج الأسري مرتبط بهدفين رئيسيين :

1/ تقليل ظهور أعراض القلق الأسري.

2/ العمل على زيادة مستوى تمايز الذات لدى كل فرد من أفراد الأسرة ( تعليم المفحوصين أن تكون لهم ذات ثابتة قوية متمايزة عن نسقهم الأسري ، و في نفس الوقت إبقائهم على صلة مع نسقهم الأسري )

و تتكون نظرية Bowen من (08) مفاهيم أساسية والتي يشرح من خلالها مرض و اضطراب النسق الأسري و التي يمكن تلخيصها كما يلي :

1. المثلثات : عندما تصبح أحد العلاقات الثنائية غير مستقرة و يزيد القلق و التوتر عند مستوى معين من الشدة الانفعالية ، فان الفردين الذين بينهما هذه العلاقة يحاولان أن يسحبا طرفا ثالثا ليكون معه ثالوث أو مثلثا ، و يستخدم الأطفال كثيرا ليكونوا الطرف الثالث عندما تحدث الصراعات بين الوالدين.
2. العمليات الانفعالية في الأسرة النووية : عندما ينشأ التوتر في النسق الأسري فحسب هذه النظرية هناك 4 طرق معتمدة تسلكها الأسرة لكي تحقق التوتر و يمكن تلخيصها فيما يلي :

* التباعد الانفعالي : أي الابتعاد عن الطرف الآخر ، و التعامل معه على أنه غير موجود.
* الصراع الزوجي : و هو يفسر من خلال التناقض الموجود بين الحاجة إلى التقارب و الإندماج من جهة و الحاجة إلى الابتعاد والاستقلال من جهة أخرى ، و يظهر التذبذب بين فترات من التقارب الزائد و فترات الشجار ثم التباعد .
* سوء اداء الوظائف عند الزوجين : حيث يعتاد فيه أو من خلاله أحد الزوجين أن يستسلم أو يتبنى حلا وسطا لكي يحتفظ بالانسجام و بينما يحقق هذا الأسلوب هدفه الذي يكون لصالح النسق ، فإنه قد يؤدي الى شعور الزوج الذي أستسلم بأن التعويض تم على حسابه و بالتالي الإحساس بالإنهاك .
* تضرر الأطفال : عندما يحدث التوتر بين الزوجين فإن الصراع بينهما يمكن أحيانا أن يتجنب إذا ما ركز انتباههما على أحد الأطفال بدلا من التركيز على الطبيعة الحقيقية للتوتر ، و هذا ما يطلق عليه اتخاذ الطفل كبش الفداء .

1. عملية اسقاط الاسرة :

هذه الوسيلة التي يمر بها عدم التمايز من الوالد الى الطفل و غالبا ما يحدث ذلك من قبل الأم ، فالأم قد تسقط مخاوفها الشخصية و ربما شعورها بأنها غير قادرة و قاصرة على الطفل ،و بالتالي تعامله كما لو كان يتصف بهذه الصفات و في نفس الوقت تندمج في تأرجح قلق حول الطفل ،و يستجيب الطفل بدوره إلى تفسيرها و بصبح قلقا ( و يشعر من جانبه أنه قاصر و غير قادر ) وقد ينخرط في سلوك من شأنه أن يؤكد وجهة نظر الأم نحوه .

1. تمايز الذات :

طبقا لهذا المفهوم فإن الأطفال يولدون و قد حصلوا على مستويات مختلفة من التمايز للذات عن الأسرة ، و البعض منهم يستطيع أن يفصل نفسه بنجاح لكي يصل إلى النضج مع آداء مستقل ،بينما يبقى البعض أسير أسرته ، ويكون أكثر عرضة لأن يكون مضطربا .

1. عملية النقل عبر الأجيال :

إن المرض حسب Bowen هو منتج في سلسلة طويلة من التعويضات يقوم بها النسق على أساس إقرار ثبات الكل على حساب بعض أجزائه ،فمستوى تمايز الوالد يمكن أن ينقل إلى الابن :  
مثال: المرأة التي لا تستطيع أن تميز بكفاءة بين الوظائف الذهنية و الوظائف الإنفعالية : تميل إلى الزواج من رجل له نفس الدرجة المنخفضة من التمايز ثم من بين الأطفال هناك واحد أقل تميزا من بقية إخوته  وعندما يكبر هو بدوره يميل إلى الزواج من شخص له أيضا درجة منخفضة من التمايز وكلاهما يسقطان مستواهما المنخفض على طفليهما .

1. البتر الإنفعالي :  
   هنا يحاول الأفراد تخفيف القلق الناتج عن الإندماج الشديد بالذهاب إلى أقصى الطرف الآخر ، ويفصلوا أنفسهم بالكامل عن النسق الأسري الأصلي .مثال : البتر عن الوالدين [وهذا لايعتبر حلا لأن الشخص الذي يستعمل البتر سوف يبقى حاملا معه في العلاقات المستقبلية نفس درجة الخوف الشديد من فقدان الذات .]
2. وضع الذرية :

ترتيب الأطفال بين الأخوة (الأكبر ، الأوسط ، الأصغر ) وهناك صفات ترتبط بكل ترتيب . ( المسؤولية ، اتخاذ القرارات ، التحكم  )

1. عمليات إنفعالية مجتمعية :

وهذا المفهوم هو امتداد للمستوى المجتمعي الأوسع لبعض الآراء السائدة حول أداء الوظائف الانفعالية للأسرة ، و مثل النسق الأسري فإن النسق الاجتماعي يحافظ على التوازن بين التفردن و الاندماج في مواجهة القلق الاجتماعي المتزايد و المتمثل في الحروب ، الكساد الاقتصادي ....

و عدم التوازن في التفردن و الاندماج يحدث في معظم المجتمعات و هذا مثل الأسر، فالآباء يتناوبون بينهم كونهم متسامحين و متشددين ، و يمكن أن يحدث في المجتمع أن جماعات فرعية مندمجة بشدة و محملة بالقلق سوف تنمو في المجتمع و تبدأ في محاربة المجتمع أو محاربة جماعات أخرى.